﴿الخُطْبَةُ الأُوْلَى﴾

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، خَلَقَ فَسَوَّى، وَقَدَّرَ فَهَدَى، وَخَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى، جَعَلَ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَزْوَاجًا؛ لِيَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، أَنْعَمَ بِنِعَمٍ لاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَاءَ لَنَا بِكُلِّ خَيْرٍ وَهُدًى، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

عِبادَ اللهِ: الْأُسْرَةُ نَوَاةُ الْمُجْتَمَعِ، وَاللَّبِنَةُ الْأُولَى فِي تَكْوِينِهِ، وَبِهَا يُبْنَى مَجْدُهُ وَيَعْلُو شَأْنُهُ؛ وَلِذَلِكَ اعْتَنَى دِينُنَا

الْحَنِيفُ بِبِنائِها، وَأَوْلَاها أَهَمِّيَّةً بَالِغَةً؛ فَهِيَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ امْتَنَّ اللهُ بِها عَلَيْنا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

أيُّها المسْلِمُونَ: شَرَعَ اللهُ النِّكاحَ لِحِكَمٍ عَظِيمَةٍ، لا تَتِمُّ إِلَّا مِنْ خِلَالِهِ، وَجَعَلَ مِنْ أَعْظَمِ مَطالِبِ المؤْمِنينَ الصَّادِقِينَ الذُّرِّيَّةَ الصَّالِحَةَ، الَّتِي تَكُونُ لَهُمْ ذُخْرًا فِي الْآخِرَةِ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيا، وَسَبَبًا لِنُصْرَةِ هذا الدِّينِ، وَكَثْرَةِ أَهْلِهِ، قالَ تَعالَى عَنْ خَلِيلِهِ إبْراهيمَ عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصالحِين﴾ [الصافات:١٠٠]، وَقالَ تَعالَى عَنْ نَبِيِّهِ زَكَرِيَّا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[آل عمران:٣٨]، وَقالَ فِي وَصْفِ عِبادِ الرَّحْمَنِ: ﴿والذينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لنا مِنْ أزواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[الفرقان:٧٤]. فَالْحَياةُ الْهَانِئَةُ، وَالمجْتَمَعُ الصَّالِحُ الْآمِنُ المتَماسِكُ كُلُّ ذَلِكَ جَعَلَ الْإِسْلامَ يَهْتَمُّ

بِالْأُسْرَةِ فِي مَعْناها وَمَبْناها؛ فَشَجَّعَ عَلَى الزَّواجِ، وَاعْتَنَى بِأُسُسِ اخْتِيارِ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ، وَجَعَلَ عَقْدَ الزَّواجِ عَقْدًا دائِمًا، وَمِيثاقًا غَلِيظًا، يَجِبُ الْوَفاءُ بِهِ، قالَ تَعالَى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[النساء:٢١]، وَأَوْضَحَ مَسْؤُولِيَّةَ الْوالِدَيْنِ، وَرَسَمَ لَهُما طَرِيقَةَ التَّعامُلِ وَتَرْبِيَةِ الْأَبْناءِ. فَلِكَيْ نَبْنِيَ أُسْرَةً صَالِحَةً فالدِّينُ وَالْخُلُقُ أَوَّلًا؛ قَالَ ﷺ فِي اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» [أخرجه البخاري ومسلم]. وَفِي اخْتِيارِ الزَّوْجِ قَالَ ﷺ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ» [حسنه الألباني]، وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ-: "قَدْ خَطَبَ ابْنَتِي جَمَاعَةٌ، فَمَنْ أُزَوِّجُهَا؟ قَالَ: مِمَّنْ يَتَّقِي اللَّهَ، فَإِنْ أَحَبَّهَا أَكْرَمَهَا، وَإِنْ أَبْغَضَهَا لَمْ يَظْلِمْهَا".

وَجَعَلَ الْإِسْلامُ الْقِوامَةَ لِلرَّجُلِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُعامِلَ زَوْجَتَهُ مُعامَلَةً حُسْنَى طَيِّبَةً، بِوِدٍّ وَاحْتِرامٍ، وَجَمِيلِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَاسْتِدَامَةِ الْبِشْرِ، وَتَوْسِيعِ النَّفَقَةِ دُونَ إِسْرَافٍ، وَأَنْ يَنْصَحَ لَها فِي دِينِها وَمالِها، فَلَا يَأْمُرُها إِلَّا بِطاعَةٍ، وَلَا يُكْرِهُها عَلَى أَمْرٍ يَضُرُّ بِها، وَأَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ زَوْجاتِهِ، قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «واسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا؛ فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِن ضِلَعٍ، وإنَّ أعْوَجَ شَيءٍ في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بِالنِّساءِ خَيْرًا» [أخرجه البخاري ومسلم]، وَعَلَى الزَّوْجِ أَنْ يَأْخُذَ بِأَسْبابِ صَلَاحِ ذُرِّيَّتِهِ، فَيَكُونُ عَفِيفًا، يُطْعِمُهُمُ الْحَلالَ، بارًّا بِوالِدَيْهِ، مُحْسِنًا إِلَى الْخَلْقِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْعَكِسُ عَلَى ذُرِّيَّتِهِ بِالصَّلاحِ وَالْبَرَكَةِ فِي حَياتِهِ وَبَعْدَ مَماتِهِ، وَوَصَّى الْإِسْلامُ الزَّوْجَةَ أَنْ تَحْفَظَ زَوْجَها فِي نَفْسِها وَمالِهِ، أَمِينَةً عَلَى الْأَبْناءِ، لَطِيفَةَ

الْعِشْرَةِ، قَوِيمَةَ الْخُلُقِ، تَسُرُّ زَوْجَها إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخالِفُهُ فِي نَفْسِها وَلَا مالِهِ بِما يَكْرَهُ. قالَ ﷺ: «الدُّنْيا مَتاعٌ، وَخَيْرُ مَتاعِ الدُّنْيا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» [رواه مسلم]، فَالزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ دِعامَةُ الْبَيْتِ السَّعِيدِ، وَرُكْنُهُ الْعَتِيدُ.

اِعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- أَنَّ لِلْوَالِدَيْنِ دَوْرًا كَبِيرًا فِي تَنْشِئَةِ جِيلٍ صالِحٍ؛ وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَرْبِيَةِ الْأَبْناءِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ الْمَقْرُونِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنْ يَغْرِسا فِيهِمُ اِحْتِرامَ الْعَلاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ، وَأَنَّ أَساسَ السَّعَادَةِ الزَّوْجِيَّةِ هُوَ تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْمُعَاشَرَةِ، قالَ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» [أخرجه البخاريُّ ومسلم]، الْوالِدانِ مُؤَثِّرانِ عَظِيمانِ فِي أَبْنائِهِمْ، فَإِذَا كانَ أَوْلادُنا عُنْوانَ حاضِرِنا وَمُسْتَقْبَلِنا، فَلْنَتَّقِ اللهَ وَلْنُرَبِّيهِمْ عَلَى ما يُرْضِي رَبَّنا، وَلْنَكُنْ قُدْوةً صالِحَةً لَهُمْ.

عِبادَ اللهِ: جَعَلَ اللهُ تَعَالَى الْمُعَاشَرَةَ بِالْمَعْرُوفِ عُنْوانًا لِلْحَياةِ الزَّوْجِيَّةِ، وَلَوْ كَانَ مَعَ كَرَاهَةِ أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩]، وَقَالَ ﷺ: «لَا يَفْرَكْ -أَيْ: لاَ يَبْغَضْ- مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً؛ إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» [أخرجه مسلم]، وَلا بُدَّ فِي الْحَياةِ الزَّوْجِيَّةِ مِنْ وُقُوعِ أَخْطاءٍ.

مَنْ ذَا الَّذِي ما ساءَ قَطّ ... وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطْ؟!

فَإِنْ أَصابَ صَفْوَ الْحَياةِ الزَّوْجِيَّةِ كَدَرٌ فَلَا يَتَسَرَّعْ أَحَدُهُما فَيَهْدِمْ بَيْتَهُ ساعَةَ غَضَبٍ، فَقَدْ وَضَعَ الْإِسْلامُ حُلُولًا وَخُطُواتٍ لِعَوْدَةِ الِاسْتِقْرارِ الْأُسْرِيِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤]، فَإِنِ اسْتَمَرَّ الشِّقَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، فَيُتَدَخَّلُ بَيْنَهُما

لِلْإِصْلَاحِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء:٣٥]. فَإِذَا لَمْ تُجْدِ هَذِهِ الْإِجْرَاءَاتُ، وَكَانَ فِي بَقَاءِ الزَّوْجِيَّةِ ضَرَرٌ عَلَيْهِمَا أَوْ أَحَدِهِمَا بِدُونِ مَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ، فَقَدْ شَرَعَ اللهُ الْفِرَاقَ بَيْنَهُمَا بِالطَّلَاقِ، وَرَسَمَهُ عَلَى مَرَاحِلَ لِيُقَلِّلَ مِنْ آثَارِهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:٢٢٩]. كُلُّ هَذِهِ الْخُطُوَاتِ وَالسُّدُودِ الْحَكِيمَةِ، لِإِبْقَاءِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ سَلِيمَةً، وَجَعْلِ الطَّلَاقِ هُوَ آخِرُ الْعِلَاجِ، دُونَ آثَارٍ وَخِيمةٍ، وَقَدْ يَكُونُ رَحْمَةً مِنَ اللهِ، وَفُرْصَةً لِلْحُصُولِ عَلَى بَدِيلٍ أَحْسَنَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِن سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٣٠].

أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَستَغفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعْظِيمًا لِشَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى رِضْوانِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وأصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: إِنَّ التَّغاضِيَ وَالتَّغافُلَ عَنِ الزَّلَّاتِ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ بَيْنَ المؤْمِنينَ، وَهُوَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ أَوْجَبُ؛ فَلَا يَكُنْ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ سَمْحًا هَيِّنًا لَيِّنًا خَارِجَ بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ، وَداخِلَهُ صَعْبُ الْمِراسِ قَوِيُّ الشَّكِيمَةِ، كَأَنَّهُ يُلاقِيْ خَصْمَهُ وَغَرِيمَهُ! فَإِذَا دَبَّ الشِّقاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ كانَ الْبَيْتُ جَحِيمًا لا يُطاقُ، وَضُيِّعَتِ الْأَمانَةُ الْمَنُوطَةُ بِالْوالِدَيْنِ، قالَ ﷺ: «كُلُّكُمْ راعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمامُ راعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ راعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِها راعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ

رَعِيَّتِها، وَالْخَادِمُ فِي مالِ سَيِّدِهِ راعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [رواه البخاريُّ ومُسْلِمٌ].

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُم كَمَا أَمَرَكُمْ بِذلِكَ رَبُّكُمْ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وَقَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» [أخرجه مُسْلِم].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَ الدِّينَ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، وَسَائِرَ بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ نَرْجُو فَلاَ تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ،

وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ. **اللَّهُمَّ** وَاغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ. **اللَّهُمَّ** آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَانْصُرْ جُنُودَنَا، وَأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ إِمَامَنَا وَوَلِيَّ أَمْرِنَا، **اللَّهُمَّ** وَفِّقْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ إِلَى مَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَوَاصِيهِمْ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى. **اللَّهُمَّ** وَفِّقْ جَمِيعَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لِلْعَمَلِ بِكِتَابِكَ، وَتَحْكِيمِ شَرْعِكَ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-. **اللَّهُمَّ** أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ وَالْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

سبحانَ ربِّك ربِّ العِزَّةِ عمَّا يصفُون، وسلامٌ على المرسَلين، والحمدُ للهِ ربِّ العَالمين.